المخاض ..

اني اموت ..
يا اخوتي .. اني اموت ..
كالشمعة الخرساء اعصاب رقاق تنعصر
كالورد في الابريق .. انفاس ولكن تحتضر
كالحقل مخضراً .. يدب الجدب في بطء اليه
كالنيل تمتص الرمال حياته من جانبيه
كالسنديانة ان تكن ملء العيون ..
فالنمل ينخر قلبها .. يا اخوتي هل تسمعون .
إني اعيش الموت في صمتي .. اموت ..
اني اموت !
اني خرجت اليوم من بيتي ، على ظهري صليب
جيبي خراب ...
قلبي خراب ...
أحسستني كالخنفساء ..
يفتالها نعل كبير ..
في حجم الف من قباب الاولياء .
وهناك شيء لا اراه ..
شيء رهيب ..
كالفأر يقرض بين جنبي الحياة
وزحفت تلفظني الدروب الى الدروب
والكون مسود كأن القار قد صبغ الصباح
او انني اعمى افتش في الضياء عن الضياء!
او ان خفاشاً كريهاً كالعمى ..
حجب السما ..
كالرخ في اقصوصة للسندباد ..
فرش السواد على المدى .. فرش السواد .
يا اخوتي .. والجوع في طول الطريق ..
افعى لها مليون ناب .
والاعين الحمرا تعاني من غموض ..
شيئاً كآلام المخاض !
وذكرت امي ... انها ماتت بآلام المخاض !
يا قصة الموت الذي يلد الحياه !
اني ارى في داخل الموت الحياه :
فالعطر في هذا العفن !
والنور في هذا الكفن !
والنبت كالاطفال في بطن الجليد !
والنار في جوف الرماد !
والماء يجري تحت هذا « التبن » في صمت عنيد !
والمارد المرصود ينحت في جدار من حديد !
« اماه .. ما اقسى الطريق الى الحيـــاه !»
يا اخوتي .. كنا وكانت في مساء ..
تحكى عن التجار في واد عجيب
خلف البحار السبع .. ماسي الحصى ..
يرمون من اعلى الجبل ..
بالشاة بعد السلخ للقاع الرهيب ...
فتعود ترفعها النسور الى القلل ..
والماس في اللحم الرطيب !
كنا نصلي للشياه ..
الماس مغروز بأضلعها .. فما اغنى الشياه !
ومشيت تلفظني الدروب الى الدروب
حولي عيون
والشاة في كل العيون
يا اخوتي .. واتى المساء ..
فرجعت للبيت الكئيب
امشي على ظهري صليب !
جيبي خراب
قلبي خراب
والماس في لحمي ابر !
يا اخوتي .. ان أرقص المسخ القرود ..
او اركب العنزات عمداً من بكر ..
او دق طبلاً فاستقامت — كالاناسي — الحُمُر
تمشي على رجلين .. او تلقي التحية كالجنود .
او اخرج الحاوي من الطوب البلح .
او صور البطيخ من حب السبح .
او اطلق الكتكوت يصوي من قدح .
او راح يلعب بالحجر ..
والبيض في حذق كاعجاز الاله ..
يا اخوتي .. ان كنت اضحك للمسوخ وللحواه ..
ويلوح في عيني اشراق المرح ..
لا تحسبوا اني فرح
فاللحن اصفى ما يكون اذا تهيأ للخفوت !
اني اعيش الموت .. في صمتي اموت ..
اني اموت ..
لكنني الد الحياه ..
كالامهات يلدن في الالم الحياه ..
امي .. وكل الامهات !..

القاهرة — نجيب سرور